خطبة صلاة الجمعة 27/ 9/ 2024 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال، في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(هدي رسول الله ﷺ في نصرة المظلوم)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: 7].

وقال سبحانه: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: 31].

وَقالَ تعَالَى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: 52].

أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: «كان رسولُ الله ﷺ إذا خطب يقول: **«أما بعدُ، فإن خيرَ الحديث كتابُ الله، وخيرُ الهدْي هدْيُ محمد، وشرُّ الأمورِ مُحْدَثاتُها، وكلُّ بدْعةٍ ضلالة»**.

قال النووي في شرح مسلم: (قوله: "خير الهدي هدي محمد" جاءت الرواية بوجهين: الأول: بفتح الهاء وإسكان الدال: ومعناه الطريقة، أي أحسن الطرق طريق محمد، والثاني: بضم الهاء وفتح الدال فيهما، ومعناه الدلالة والإرشاد).

فأحسن الهدي هدي محمد، أَي أَحسَنُ الطريقِ والهِداية والدلالة والإرشاد هدي رسول الله محمد ﷺ.

أيها الإخوة:

في شهرِ ربيع شهرِ ولادة سيدنا محمد ﷺ تابعنا سلسلةً بدأناها قبل سنوات في شهر المولد عنوانُها: (**هدي رسول الله ﷺ**) تابعناها لنكثر من الصلاة والسلام عليه ﷺ ولنهتدي بهديه ونتأسى بسنته فننالَ الحظوة بشفاعته صلوات ربي وسلامه عليه.

عنوان خطبة اليوم:

هدي رسول الله ﷺ في نصرة المظلوم

أيها الإخوة:

وجدت من هدي النبي صلى الله عليه وسلم في نصرة المظلوم:

1- كان ﷺ يحرص على نصرة المظلوم ويأمر بذلك:

قدم رجل إلى مكة من مدينة زَبِيد باليمن ببضاعة فاشتراها منه العاص بن وائل، ومنعه حقه فاستعدى عليه الزبيدي أشرافَ قريش، فلم يعينوه لمكانة العاص فيهم، فوقف عند الكعبة واستغاث بآل فهر وأهل المروءة، فقام الزبير بن عبد المطلب فقال: ما لهذا مَترك.. فاجتمعت بنو هاشم، وزهرة، وبنو تيْم بن مُرة في دار عبد الله بن جدعان فصنع لهم طعامًا، وتحالفوا في شهر حرام، وهو ذو القعدة، فتعاقدوا وتحالفوا بالله ليكونُنّ يدًا واحدة مع المظلوم على الظالم حتى يُرَدَّ إليه حقه..

وفي سيرة ابن هشام: "فتعاقدوا وتعاهدوا على أن لا يجدوا بمكَّة مَظْلومًا مِنْ أهلها وغيرهم ممَّن دخلها مِن سائر النَّاس إلا قاموا معه، وكانوا على مَنْ ظَلَمه حتى تُرَدَّ عليه مَظْلمته، فسمَّت قريشٌ ذلك الحِلْف: حِلْف الفُضُول"..

روى أحمد في مسنده عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**لقد شَهِدتُ مع عمومَتي حِلفًا في دار عبد الله بن جُدعانَ ما أُحبُّ أن لي بهِ حُمْرَ النَّعَم، ولَو دُعيتُ به في الإسلام لأجَبتُ**». وقد حضره النبي صلى الله عليه وسلم وعمره خمس عشرة سنة..

فها هو صلى الله عليه وسلم يفخر ويبتهج بحضوره حلف الفضول لأنه ينصر المظلومين ويدفع عنهم.

وكذلك كان صلى الله عليه وسلم يأمر المسلمين بنصرة المظلوم.

فقد روى البخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: (أمرنا النبي صلى الله عليه وسلم بسبع: أمَرَنا باتباعِ الجنائزِ، وعيادةِ المريضِ، وإجابةِ الداعي، ونصرِ المظلومِ، وإبرارِ القسَمِ، وردِّ السلامِ، وتَشميتِ العاطسِ...).

ومن هنا قال العلماء: "يجب نصرُ المظلوم، ودفعُ مَنْ أراد إذلاله بوجه من الوجوه، وهذا مما لا يُعْلَم فيه خلاف".

2- كان ﷺ يشنع على كل من لا ينصر المظلوم وهو قادر على نصرته، فرداً كان أو أمةً:

روى أبو داود وغيره عن جابر بن عبد الله وأبي طلحة بن سهل الأنصاري أنهما قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«ما مِنْ امرئ يخذل امرًأ مسلما في موضع تُنتهك فيه حُرْمَتُه، ويُنتقص فيه مِنْ عِرْضه، إلا خذله الله في موطن يحب فيه نصرته»**. قال صاحب عون المعبود: "والمعنى ليس أحد يترك نُصْرَةَ مسلم مع وجود القدرة عليه بالقول أو الفعل ... إلا خذله الله".

وروى ابن ماجه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: (لما رجع مهاجرو البحر (الحبشة) إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم: ألا تحدثوني بأعاجيب ما رأيتم بأرض الحبشة؟! قال فتية منهم: بلى يا رسول الله! بينما نحن جلوس، إذ مرت عجوز مِن عجائز رهابينهم تحمل على رأسها قُلَّةً مِنْ ماء، فقام إليها فتىً مِنْ فِتْيانهم فوضع إحدى يديه بين كتفيها ثم دفعها فخرت (وقعت) على ركبتيها، فانكسرت قلتُها، فلما ارتفعت، التفتت إليه فقالت: سوف تعلم، يا غُدر (يا غادر، يا ظالم)، إذا وضع الله الكرسي، وجمع الأولين والآخرين، وتكلمت الأيدي والأرجل بما كانوا يكسبون، فسوف تعلم كيف يكون أمري وأمرك عنده غداً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: صدقت.. صدقت، كيف يقدس الله أمة لا يؤخذ لضعيفهم مِن شديدهم؟!).

قال المناوي: معناه: أخبروني كيف يُطهِّر الله قومًا لا ينصرون العاجز الضَّعيف على الظَّالم القويّ، مع تمكُّنهم من ذلك؟! أي: لا يطهِّرهم الله أبدًا".

فالأمة التي لا تنتصر للضعفاء أو المظلومين ولا يؤخذ فيها على أيدي الظالمين لهي أمة غير جديرة بنصرة الله ومعيته وتطهيره لها من الآثام.

3- كان ﷺ يؤكد على أن من نصر المظلوم نصر ومن خذله خذل:

ذلك لأن الجزاء من جنس العمل، أخرج الطبراني بإسناده عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **«مَنْ نصرَ أخاهُ بالغيب نصره اللهُ في الدنيا والآخرة»**.

وأخرج أبو داود وأحمد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«ما من امرئٍ يخذل امرءًا مسلمًا عند موطن تُنتهَك فيه حُرمتُه، ويُنتقَص فيه من عِرضه، إلا خذله الله عز وجل في موطن يحب فيه نُصرته، وما من امرئٍ ينصر امرءًا مسلمًا في موطن ينتقص فيه من عرضه، ويُنتهك فيه من حرمته إلاَّ نصره الله في موطن يحب فيه نصرته»**.

فالقائم بحق النصرة أو المتخاذل عنها؛ كل منهما يلقى ثمرة ذلك – في الدنيا والآخرة – جزاء وفاقًا.

أيها الإخوة:

ترون اعتداء الصهاينة المجرمين مدعومين بالكفرة من الغربيين على كل ما اتفقت عليه الإنسانية من مبادئ وقيم وعلى كل ما استطاعوا من بشر وشجر وحجر، في فلسطين ولبنان، وإن إخوتنا هناك يدفعون بمهجهم وأرواحهم عن الأمة جمعاء، فالواجب على كل بلاد المسلمين حكاماً ومحكومين عونهم بما يستطيعون ونصرهم بما يملكون ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال: 73] وقد سمعتم ثلاثة من هدي النبي ﷺ في نصرة المظلوم.

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: 56].

والحمد لله رب العالمين